في (المدى)

حصيلة الممارسة الديمقراطية

احمد السعداوي

في الفترة التي أعقبت سقوط النظام فرضت الحاجة الآنية لسد الفراغ الذي خلفه انهيار مؤسسات النظام بأجمعها. إعادة تشكيل من نقطة الصفر لكل شيء تقريباً. وبالذات المؤسسات التنفيذية كالمجالس البلدية. ومجالس المحافظات. والهيئات القيادية في الكثير من المؤسسات الحكومية.. وكذلك النقابات المهنية بمختلف اختصاصاتها. إلى الحد الذي يمكننا القول معه.. إن الهاجس الذي كان يتحرك في السعي لإعادة إنشاء هذه المؤسسات.. كان هو هاجس الديمقراطية.. حتى قبل أن تتحول هذه الديمقراطية إلى خيار سياسي واقعي واضح الأبعاد.

وما نسمعه بين حين وآخر.. من تظاهرات تنتهي بإقالة أحد المحافظين.. أو تفكيك مجلس بلدي لمنطقة ما وإعادة اختيار لأعضائه.. يؤشر بوضوح في جانبه الإيجابي.. أن دماء الديمقراطية تفعل فعلها، وأن الناس يتلمسون هذه التجربة ويعايشونها بغض النظر عن النتائج المرجوة منها. أو (الغرض) من الديمقراطية!

إن المقدس السياسي - إن جاز لنا التعبير - انهار إلى غير رجعة، وعادت السياسة شأناً بشرياً. إن حلم القيادة اصبح واقعياً. كذلك حلم التأثير في مجريات الواقع، وهذه التجربة الجديدة توفر أرضية مناسبة ولا غنى عنها لتكييف الديمقراطية داخل الفعاليات الاجتماعية المختلفة، بما يحولها إلى واقع منظور. يتماس معه المواطن في مفاصل كثيرة. إن تجربة الديمقراطية في الأشهر الماضية، وما سيعقبها، توفر حصيلة مهمة تهيئ المواطن لأخطر ممارسة ديمقراطية (اختيار حكومة). ولربما سيكون المواطن حينها قد تخلص من سلبيات ترافق هذه الممارسة، واستطاع أن يكون موقفاً أكثر مسؤولية.

إن الانصات إلى هذه التجارب الديمقراطية ذات النطاق المحدود والتي جرت طوال الأشهر الماضية - بغض النظر عن تدخلات سلطات الاحتلال - سيمنحنا تصوراً عملياً عن فهم المواطن للديمقراطية. ومدى قناعته وإيمانه بها. فهل هي معبر للسلطة مثلاً. أم هي نظام أعلى منها؟

هل يشهد التعامل مع الديمقراطية الآن تطوراً ما. أم أنه يعاني من تخبط وتشويش؟ اعتقد أن الحاجة للإجابة على هذا السؤال ستدفعنا إلى دراسة حصيلة الممارسة الديمقراطية في قطاعات المجتمع المختلفة خلال الأشهر الماضية.

كانت ليالي بلا ليل

أيام الحرب في تكريت وسامراء

صلاح الدين / عبد الزهرة المنشداوي

من قصد مدينة تكريت قبيل اندلاع الحرب في العشرين من آذار 2003 لابد أنه شاهد الاستعدادات المتخذة من جانب النظام المباد، ولا سيما بعد اجتياز مدينة بلد بنحو 100 كم جنوباً فعلى امتداد الطريق وعلى جانبيه اتخذت مواضع صغيرة وحفر مختلفة جميعها وسمت بشعار بدا أنه من اختيار صدام كالعادة، لولعه بإطلاق التسميات على الأحداث والمعارك، من أمثال يوم الأيام وأم المعارك ويوم الراية وما إليها من تسميات اثبتت الأيام زيفها.

"لن يمروا" هذا ما كان يزين المواضع التي انشئت على الممرات والطرقات، ولم يفتهم أن يتفننوا في رسم هذا الشعار بالحجارة والحصى بعد أن تم تلوينه بالأزرق والأحمر وكأن البلد مقبل على كرنفال لا على حرب ضروس!

كان الشعور السائد لدى الكثيرين أن الحرب واقعة لا محالة، اما مسألة زوال صدام ونظامه جراء هذه الحرب فيبدو أن ذلك كان مستبعداً لأن من كانوا امر تبطين به مداورة.

كانوا واثقين من أن (صدام) سيبقى على رأس النظام! وأن الحرب لن تطول كرسيه في الأغلب فلديهم شواهد حرب الخليج الثانية والأولى. وكانوا اشبه متيقنين من بقائه! ولكن ما كل ما يتمنى (البعثي) يدركه! لهذا راح بعضهم يقوم باستعراضات سمجة، كأن يمثل دور التحمس للقاء العدو، او من يأمر بحفر مزيد من المواضع وقد جند مدنيون قسراً لذلك.

ولكن الشعور لدى الكل كان يؤكد أن الحرب قائمة لا محالة! وظهرت بوادر ذلك في مدينة تكريت مبكراً إذ أخليت هذه المدينة، من سكانها إلى الحد الذي شوهد فيه قيامهم بنقل حتى الأثاث من البيوت ولجأ بعضهم إلى تشييد بيوت في منطقة الجزيرة المحيطة بالمدينة قرب الطريق السريع، وسط الأرض المقفرة، في حين قطن بعضهم مع الفلاحين بعيداً عن مركز المدينة.

وقد أفاد بعض الشهود بأنه رأى طائرات صغيرة هناك تعود إلى أفراد عائلة صدام قد أخرجت من المدينة. وملخص القول أن تكريت كانت قد أخليت من سكانها قبل نشوب الحرب بمدة تناهز الشهر والذين فيها هم أما من أفراد الحرس الخاص أو جهاز المخابرات وبعض الناس الذين جاءوا إليها مع عوائلهم للعمل فيها من أهالي كركوك أو مدن جنوبي العراق الذين امتهنوا في ذلك الحين العمل في مزارع الرجال المقربين من النظام.

ويذكر أن أولى شرارات الحرب التي أصابت المدينة جاءت بعد ثلاثة أيام من بداية شن الهجوم إذ دوى صوت الانفجارات في الساعة التاسعة ليلاً وطال بنايات البدالة ومقر (الفدائيين) (وجيش القدس) والمخابرات وفندق تكريت والجسر من جهة قضاء الدور.

على أن جميع الأسلحة الموجهة من الطائرات لم تطل القصور الفخمة التي شيدها صدام على جانبي النهر والممتدة امتداداً شاسعاً على طوله وفي عمق المدينة كذلك! ثم أن أول إنزال حدث لقوات الائتلاف كان في الليلة التالية في جامعة تكريت بمنطقة القادسية شرقي المدينة ولكن لم يتصد له أحد سواء من العسكر أو من أجهزة ما يسمى بفدائي صدام أو جهاز الأمن الخاص. كل ما يحدث أن هذه القوات قوبلت بنيران من جماعة صغيرة تبين فيما بعد بأنها مجموعة من الفدائيين السوريين دخلت إلى العراق قبيل بدء الحرب أو في اليومين الأولين منها.

وقد شوهد ليلتها المدعو "محمد الحدوشي" وهو من أفراد عشيرة صدام ومن المقربين إليه وصاحب القول النافذ في تكريت، يدور في الشوارع ليلاً ليجمع من يجد من الأشخاص لمجابهة إنزال كان قد تم في قرية العوجة، ذاكراً بأنه عبارة عن دبابات معدودة وأفراد قليلين من الجيش الأمريكي يمكن التغلب عليهم. واستطاع أن يجمع عدداً من (الفدائيين) وأفراد جهاز المخابرات والجيش الشعبي ويذهب بهم إلى هناك. لكنهم وجدوا الأمر على غير ما ذكره هذا "الحدوشي" فلقد كانت القوات أميركية بأعداد كبيرة وقد استطاعت قتل الكثير من هذه المجموعة في حين لاذ الآخرون بالفرار ومعهم الحدوشي بالطبع!

وفي هذه الأثناء كانت تكريت تنزف قاطنيها من الذين لم تسنح لهم فرصة الهروب خارجها، وكادت السبل تنقطع بهم خاصة بعد دك الجسر واستحالة عبور السيارات فوقه، إذ خلف القصف على سطحه فجوات عريضة بحيث لا يستطيع عبوره إلا من كان راجلاً ولهذا تدفقت العوائل على قضاء الدور القريب وسكنت خرائب من مخلفات حرب الخليج الثانية. يضاف إلى أن وحدات عسكرية أخذت هي الأخرى تتدفق آتية من معسكراتها القريبة من تكريت. ودخلتها أيضاً وحدات عسكرية من كركوك، وكانت هذه الوحدات قد تعرضت لسلب ونهب وتهديد من بعض العشائر القريبة من تكريت بدعوى تركهم ساحات القتال! واستولوا على أنواع مختلفة من الأسلحة الخفيفة وسيارات القادة والآمرين وكأن التاريخ كان يعيد نفسه أيام حرب الخليج الثانية.

واللافت للنظر أن أعضاء حزب البعث المنحل كانوا قد تسلموا أسلحة من أجل المواجهة، لكن أحداً لم يظهر منهم، ولم يجرؤ على إطلاق رصاصة واحدة حتى في الهواء! وكان الناس يحذرون من يحمل سلاحاً فأغلبهم كان يرى أن فكرة إطلاق نار قد تجر إلى كارثة وخيمة، لهذا أخفى معظم البعثيين سلاحه في بيته واعتبره غنيمة من غنائم نظام منهار.

شهدت بعض الليالي ما لم يشهده أحد من قبل، فلقد أنيرت الظلمة بضياء أحمر وهاج على شكل حزام كان يطوق تكريت، وكان ذلك بفعل قوات الاحتلال التي كانت تقوم بقصف مخازن الأسلحة المنتشرة حول المدينة. ويمكن وصفها بأنها كانت ليالي بلا ليل، أرعبت الكثيرين أول وهلة، لكنهم ألفوها في الليالي التالية.

أما بقية المدن القريبة من تكريت، مثل ناحية العلم والدوز والدور فلم تشهد ما شهدته باستثناء قصف مقرات ما يعرف بـ(جيش القدس) و(الفدائيين) وأبنية البدالات.

ولكن الحديث عن سامراء ينحو منحى آخر، فلقد تواترت الأخبار الأكيدة بأن علي حسن المجيد الملقب بـ(علي كيمياوي) كان يتجول في المدينة طلباً من رؤساء العشائر فيها تجنيد 100 شاب من كل عشيرة، من أجل الهجوم على قوات الاحتلال. وقد أفاد البعض بأنه لم يحصل على مطلبه هذا وأن مجموعة صغيرة التفت حوله سرعان ما خمنت بأن المجيد هذا يقودها إلى عملية انتحارية خاسرة لا جدوى منها، فانفضت من حوله، وكانت حركته قد رصدت ما بين سامراء وقضاء بلد الذي يبعد عنها نحو 40 كم.

ولقد ظهر ثانية تحيط به مجموعة من (الفدائيين السوريين) في سامراء. وقد اكد شهود عيان (وما أكثرهم!!) بأنهم كانوا "ملغومي" الأجساد، وقد اقتحم معهم دائرة الأحوال الشخصية في سامراء ليستولي على نماذج واختام "هوية الأحوال المدنية" وكان يبغي من ورائها تزويد من التحق به بهذه الهويات للتمويه على مجموعته.

وكانت حركاته مرصودة للجميع وكان البعض يشير إلى وجوده في بعض البيوت والأوقات التي يغادر فيها إلى منطقة بلد. على أن علي حسن المجيد هذا كان من غير المرغوب فيهم بمدينة سامراء لسجله الإجرامي المشهود في حلبجة والأنفال، وفي قمع انتفاضة آذار 1991، ودفنه الآلاف للمواطنين الأبرياء في مقابر جماعية فضلاً عن أنه كان السبب في إعدام عبد الخالق السامرائي عضو القيادة السابق حينما أشار إليه قائلاً لصدام: بأن وجود عبد الخالق على قيد الحياة سوف يتسبب لك بالمشاكل. عندها أمسك صدام بطرف شاربه قائلاً له: "خذها من هذا الشارب!" وعلى أثرها تم إعدامه.

ولا أزال أذكر أن أحد الشباب في مدينة سامراء كان يتمنى أن يعرف مكانه ليدل الأحزاب الوطنية على مخبئه. وهنا ينبغي القول أن مدينة سامراء معروفة بهدوئها وبعدها عما كان يحدث، فلم تتعرض إلى اي هجوم أو ما يعكر صفو حال السلام فيها شيء، باستثناء حالة واحدة تمثلت بتعرض بدالتها إلى هجوم صاروخي. وما عدا ذلك فلا يكاد يذكر. ولقد قصدها الناس قبل الحرب وخلالها من كل حدب وصوب وخاصة من بغداد. وقد عمل أهالي المدينة على تقديم العون للوافدين وفتح بيوتهم لهم. وفي هذا المجال نذكر أن أعضاء الجمعية الخيرية في سامراء كانوا يدورون على الفنادق، داعين أصحابها للسماح بسكن العوائل، مقابل أن تتكفل الجمعية الخيرية التي يترأسها الحاج مهدي عمران المبالغ المالية التي تترتب على ذلك.

في حين ذكر السيد أحمد أزهر الصائغ أن الطعام كان يوزع مجاناً، وتم تهيئة بعض هياكل المنازل التي لم يستكمل بناؤها لأجل سكن العوائل.

في حين كانت الصورة مغايرة في تكريت، التي شاع فيها فرهود لقصور صدام الفخمة، وراح البعض يقتحم مخازن الأسلحة. وقد ذكر لي أحد سكنة تكريت أن بعض أفراد جهاز الأمن الخاص ومن العاملين لدى (قصي) بالتحديد، طلب منه أن يشاركه في اقتحام بيت عدنان خير الله طلفاح في العوجة لكنه رفض طلبه. وقد شاهد بعينه أحدهم وهو يقوم بملء سيارة من نوع (بيك آب) بالأسلحة الخفيفة بعد أن استولى عليها من أحد المخازن في تكريت.

وذكر آخر انه سمع جندياً أميركياً في مركز تكريت يسأل قائلاً: اين هي تكريت؟ متخيلاً بأن تكريت هي تلك المدينة نفسها التي وصفها الإعلام الغربي بأنها معقل صدام المنيع، الذي سيكون فيها القتال على اشده، كونها تضم عشيرته ومقربيه الذين يستميتون في الدفاع عنه!!

الإخلاء في درجة حرارة 50 مئوي

سكان المجمعات في بغداد .. "ضحايا" في أزمة!

عبد الكريم العبيدي

هؤلاء من صنع "الماضي".. هم ضحية مثلنا، نحتوا من "الهواء" بيوتاً لهم واستوطنوها! ولكن استطلاعات "المدى" أظهرت أنهم خليط من المظلومين وظالمي أنفسهم! لا توجد ظاهرة واحدة في العراق متفق عليها.. هل هم متجاوزون على المباني الحكومية. أم أن المباني تضيفهم "عنوة" بعد موتها العلني!؟ الجواب في الصيف القادم!

مجمع هوائي!

عوائل الحروب، أو سكان المباني الحكومية التي "ترملت" بعد اندحار صدام في آخر حروبه الكارثية، فتحولت فجأة إلى مجمعات سكنية، احتضنت خليطاً من آلاف العوائل العراقية النازحة من مناطق عديدة شكلت حالة مأساوية جديدة، تعبر على الهواء مباشرة عن "منجزات" العهد المباد الذي طالما اشتغل على آلية صدامية لها يدان، الأولى كانت "تبني" والأخرى تدافع عن صدام!..

هذه المباني، التي كانت ذات يوم دوائر ومديريات ومستشفيات، نهب كل اثاثها وأجهزتها، ثم اقتلع "السلابة" أبوابها وشبابيكها فتحولت إلى انقاض ديناصورية مؤهلة تماماً لسكن العوائل البائسة!..

البعض يتهم هذه العوائل بأنهم لصوص، سكنوا تلك المباني، لنهب آخر ما تبقى منها من طابوق أو كاشي، وللحصول بعد ذلك على تعويضات من الدولة في حالة إخلائهم منها..!؟

آخرون صرحوا، أنهم (أي سكنة المجمعات) كانوا يسكنون في بيوت ولكنهم باعوها أو أجروها ثم سكنوا هذه المباني طمعاً بالتعويض المزعوم..

في حين أنصفهم البعض الآخر قائلاً، غالبية هذه العوائل كانت تسكن بيوتاً مستأجرة، وبعد ارتفاع الإيجارات اضطروا إلى إخلائها ونزلوا إلى الشوارع..

المجمع السكني، هو بداية "هوائية" فارغة، تضم المئات من العوائل التي اضطرت إلى بناء أقفاصها داخل المبنى بالجينكو والأخشاب والبطانيات القديمة، أو الشراشف أحياناً، لخلق شعور وهمي، بأنهم آمنون في منازلهم الخيالية. التي هي أفضل من حياة الشوارع على أية حال!

ولكنهم بلا ماء ولا كهرباء، ولا خدمات صحية، وتنتشر فيضانات مياه المجاري الثقيلة حول مجمعهم، ناهيك عن الأمراض والأوبئة التي انتشرت بينهم، والأمية التي طغت على كل أبنائهم بعد أن رفض العديد من إدارات المدارس قبولهم بحجة النزوح غير "المشروع" الذي ارتكبوه بعيد سقوط النظام!.

حياة هامشية بائسة تعيشها هذه "المخلوقات الطارئة" في وطنها الأم!

السكن أولاً

في يوم 3/17 نظم ما يقرب من "150" شخصاً من هذه العوائل تظاهرة سلمية انطلقت من مدخل شارع الرشيد - جسر الجمهورية، وانتهت أمام مقر مجلس الحكم الانتقالي... المتظاهرون رفعوا لافتات، كتب عليها "السكن أولاً"، وبينوا في هتافاتهم الصاخبة، أنهم لا يسكنون في الشوارع في حالة إخلائهم قسراً، ولوحوا باستخدام القوة للدفاع عن أنفسهم!..

يقول حسين لفتة لعيبي إنه من سكنة مجمع ناصر الساعدي الواقع في مدينة الصدر، والذي يضم أكثر من 100 "عائلة مشردة".. وبين أن القوات الأمريكية دهمت المجمع قبل أيام وتسببت بوفاة شاب اثر إصابته بسكتة قلبية، مما ولد غضباً واستياء لدى جميع سكان المجمعات.. وأضاف أن هناك العديد من المجمعات السكنية في بغداد، منها مجمع مطار المثنى ويضم ما يقارب الـ"100" عائلة سكنت في بناية كبيرة تابعة لديوان الرئاسة سابقاً.. ومجمع المنتظر في ساحة "83" في الطالبية، ويضم مئات العوائل المشردة التي أوت إلى بناية كانت تمثل مجمعاً كبيراً التجهيز القصور الصدامية بالأخشاب والرمر وغيرها.

نصب واحتيال ورشاوى

سكان المجمعات نفوا كل التهم الموجهة إليهم، وبينوا أنهم عوائل فقيرة طحنتها حروب صدام ففقدت العديد من الآباء والأبناء في جبهات القتال، أو في السجون بتهم سياسية وغيرها..

يقول يحيى حميد إسماعيل، أنا عاطل عن العمل ولا أملك سكناً، أولادنا بلا مدارس، ومهددون بالإخلاء، هل ثمة أسوأ من هذا الحال؟!

سلام عبيد قاسم أحد سكنة المجمعات قال، تعرضنا لحالات نصب واحتيال.. "قالوا لنا، كل عائلة تدفع "9" آلاف دينار لتحصل على بيت! ونظموا لنا هويات بمبلغ 2.500 دينار مقابل الهوية الواحدة!! "أراني هويته منسوبة إلى جمعية (...) ولها شعار ورئيس جمعية!؟

عاطل آخر من هذه العوائل اسمه "هادي كاظم سبتي" تحدث عن حالات التلاعب في تعيينات إحدى الوزارات المهمة، قال "بالرشوة والواسطة فقط يتم التعيين" وأضاف "ادفع 50 ألف دينار لأصبح منتسباً"!؟

النساء والإخلاء

نسوة كثيرات شاركن في التظاهرة ورفعن اللافتات والإعلام، وتندن بأمر الإخلاء، وتحدثن عن وضعهن السيئ في المجمعات.

تقول "زهرة لفتة" أنا عضوة في جمعية المرأة، وأسكن في "مجمع الهدى"، عائلتي الكبيرة مهددة بالإخلاء، وحاولنا الاتصال بالعديد من المسؤولين ولم نحصل على شيء...

"سكنة حمود" امرأة في الأربعين من العمر قالت، "أنا من سكنة مجمع المنتظر في الطالبية. ولدي عائلة مهددة بالإخلاء، أحد ابنائي فر من الجيش سابقاً فقص صدام أذنه "!؟"... أما زوجي فقد اصيب بعوق مزمن أثناء غزو صدام للكويت "وتساءلت" أحد أولادي يدرس في الكلية الآن.. من يتكفل برعايته بعد الإخلاء!؟ لقد أجبرت أخاه الصغير على ترك دراسته في الابتدائية بسبب الفقر!

في درجة حرارة "50" مئوي!

عوائل ضحايا الحروب هذه تحولت إلى ظاهرة اجتماعية في أحرج ظرف يمر به العراق.. مجمعات غير صحية. في مبان حكومية منهوبة.. الدولة تريد إعادتها مع إعادة الحياة الطبيعية للوطن، والعوائل تصر على البقاء فيها..

مجلس الحكم الانتقالي استجاب لنداء العوائل المشردة وطلب اثنين منهم لإجراء حوار معهما للتعرف على مشكلتهم عن قرب.. ولكن الحر القادم.. الصيف الذي بدأ يلوح منذ الآن، ومع التحضيرات السريعة لصناعة (المهفات)، أو شراء مروحة منضدية، سكراب من سوق الهرج، ربما سيكون الفيصل الأخير، أما بحل معقول ومتحضر، أو الضياع في درجة حرارة "50" مئوي!.

عدسة / سمير هادي